العولمة القفافية عبر الاعلام « الاثار وكيفية المواجهة من منظور الدعوة الاسلامية »

د . طارق ميرغني محمود( )

تمهيد :

الحمد لله والصلاة والسلام على أفضل خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه إلى يوم الدين.

أهداف البحث:

للعولمة الثقافية وسائلها ومضامينها؛ والتي من أهمها وسائل الإعلام والأدوات والأجهزة التكنولوجية والإلكترونية، أما مضامينها ومحتواها فهي البرامج الفكرية، والتصوراتُ الأدبية والفنية، والمذاهبُ والنظرياتُ النقدية، والآراء العقائدية (الإيديولوجية)، ووجهات النظر السياسية، ونمط الحياة والتقاليد الاجتماعية في الملبس والمأكل والمشرب، والبرامج التمثيلية والغنائية والموسيقية، وما شابه ذلك(١)

ومن هنا نجد أن العولمة ترتبط ارتباطًا عضويًّا مع وسائل الاتصال الحديثة التي تنشر فكراً معينًا، و»ثقافة» معينة، يمكن أن نطلق عليها اسم «ثقافة الاختراق» .(٢)

(●) استاذ مساعد- بكلية الدعوة والاعلام – جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية،

(١) ناصر الدين الأسد: آثار العولمة على البلدان المتنامية في المجالين الثقافي والتواصلي، (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ٢٠٠١م)) ص١١١

(٢) محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية ،((الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧م)) ص ١٤٣

ووفقًا لذلك تأتي أهداف هذا البحث والتي تتمثل في :

محاولة قراءة الإشكالات الناتجة وتفسيرها عن إهدار الوظائف الأساس للإعلام سيما الدولي منه في توظيفه لعولمة الثقافة الغربية وفي مقدمتها الأمريكية بالقوة في عوالم متعددة وذات أصوات متعددة.

التعرف على الآثار الناتجة من التدفق الإعلامي غير المتوازن الذي يحمل بعضها مضامين اتصالية ثقافية تصطدم بمبادئ العقيدة الإسلامية والأخلاق وأساسياتهما.

عرض وجهات نظر المفكرين المسلمين المتباينة تجاه التعامل مع العولمة الثقافية وكيفية مواجهتها.

مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في خطورة سيطرة القوة الدولية الأحادية على وسائل الإعلام الدولية وتوظيفها لعولمة الثقافة وجعلها ثقافة موحدة تجاه الفقراء والمستضعفين ، وطمس هوية الآخر وملامح ثقافته وأساسياتها ، ومنهم الأمة الإسلامية ، رغم ما لديها من ثقافة عالمية وما تمتلكه من قوى غير مستغلة لتحقيق عالمية الثقافة الإسلامية.

تساؤلات البحث:

سعى البحث للإجابة عن عدد من التساؤلات الرئيسة وهي :

ما مفهوم العولمة ومجالاتها ووسائلها؟

ما الانعكاسات الناتجة عن تأثيرات العولمة الثقافية عبر الوسائل الإعلامية على الأمة الإسلامية؟

كيف يمكن الجمع بين وجهات نظر المفكرين المسلمين المتباينة تجاه التعامل مع العولمة الثقافية؟

كيف تواجه الأمة الإسلامية العولمة الوافدة من منظور الدعوة الإسلامية ؟

كيف يمكن لوسائل الإعلام في الدول الإسلامية من عولمة الثقافة الإسلامية والتي في من خصائصها العالمية؟

مصطلحات البحث :

الإعلام :(هو تزويد الجماهير بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة والواضحة .وهو التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وروحهم وميولهم واتجاهاتهم) (١)

العولمة : (هي عملية مقصودة تحركها القوى الرأسمالية بهدف تحقيق مصالحها والسعي إلى أن يسود العالم أنموذج فكرى ثقافي يتطابق مع المصالح الغربية) (٢)

الثقافة : يعرف مالك بن نبي الثقافة بأنها (مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية يلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه. والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته). (٣)

الإعلام الدولي : هو : التحليل الثقافي والاقتصادي والسياسي والتقني للنماذج الاتصالية ، وآثارها بين الدول . (٤)

تقسيمات البحث:

ولتحقيق أهداف البحث والإجابة عن تساؤلاته ومحاولة إيجاد الحلول لمشكلته

تم تقسيم البحث للمحاور التالية

< تمهيد

< **المطلب الأول :** العولمة الثقافية ووسائل الإعلام.

< **المطلب الثاني:** التحديات والإشكالات الناتجة عن العولمة الثقافية.

< **المطلب الثالث:** آثار العولمة الثقافية في العالم الإسلامي.

< **المطلب الرابع:** كيفية مواجهة العولمة الثقافية عبر الإعلام من منظور الدعوة الإسلامية.

---

(١) فاروق خالد، الاعلام الدولي والعولمة الجديدة، ((دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن ط١ ٢٠٠٩م)) ص ٩

(٢) اياد شاكر البكري: عام ٢٠٠٠م حرب المحطات الفضائية، ((دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن ط١٩٩٩م)) ص ٩

(٣) عبد الملك ردمان: تطوير تكنلوجيا الاتصال وعولمة المعلومات((المتكب الجامعي الحديث، عمان ٢٠٠٥م)) ص١٠

(٤) فاروق خالد: مرجع سابق، ص ١١

– وانظر فتحية ابراهيم محمد: ازمة الهوية الثقافية في عصر العولمة: رؤية انثروبولوجية. مقال بمجلة جامعة الملك سعود ((ج١٥، النشر العلمي بجامعة الملك سعود، الرياض ٢٠٠٣م)) ص ١٢٢

المطلب الأول : العولمة الثقافية ووسائل الإعلام.

على الرغم من إقرار المجتمعات الإنسانية على مر التأريخ بوجود تمايز ثقافي فيما بينها، فان ثمت اتجاه سائد الآن تقوده الولايات المتحدة الأمريكية يدعو إلى إنكار هذا التمايز، على اعتبار أن التدفق الإعلامي عبر الحدود، والثورة المعلوماتية من شأنها نشر ثقافة كونية واحدة. وتبرز قضية الهوية الثقافية بمجرد حديثنا عن الانتقال عبر الحدود وخاصة في مجال المعلومات والأفكار والاتجاهات والأنماط السلوكية.

لقد أدت ثورة الاتصالات دوراً أساسًا في إحداث هذا التأثير الثقافي؛ فبدلاً من الحدود الثقافية، الوطنية والقومية، تطرح إيديولوجيا العولمة «حدودًا» أخرى، غير مرئية، ترسمها الشبكات العالمية، كالشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) والقنوات الفضائية، بغرض الهيمنة على الأذواق والفكر والسلوك. وقد أدى استخدام القنوات الفضائية والشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت)، إلى تقلص دور الكلمة المكتوبة لحساب الصورة المرئية، ولهذا الأمر أهميته البالغة، لأن الكتاب مثلاً كان يخاطب النخبة في حين يتسع جمهور الصورة ليشمل مختلف شرائح المجتمع، ولأن الكتاب كان يتوقف أحيانًا عند حدود الدول، وقد لا يسمح له بالدخول إليها، في حين تتخطى الصورة التي يحملها الأثير جميع الحدود السياسية والحواجز الجمركية

وما يُقال عن الكتاب، يُقال أيضًا عن الصحف والمجلات وغيرها من المواد المكتوبة.

إنَّ أكثر ما يلفت الانتباه من ظواهر العولمة في المجال الثقافي، هو المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم. فقد أصبحت الموسيقا والبرامج التليفزيونية والمسلسلات والأفلام السينمائية الأمريكية، منتشرة في أرجاء العالم، كما أن النمط الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة والمشروبات وغيرها من السلع الاستهلاكية انتشرت على نطاق عالمي واسع. وفضلاً عن ذلك، صارت اللغة الإنجليزية لغة عالمية، بل وانتشرت اللهجة الأمريكية، على وجه الخصوص، انتشاراً واسعًا.

(ومن أسباب هذا النفوذ الثقافي الواسع: سيطرة الاقتصاد الأمريكي بوصفه سوقًا مستوردة ومصدرة،

وهيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمي، ولما للولايات المتحدة من تفوق واضح على منافسيها الاقتصاديين في المجالات الثقافية الشعبية، وعلى الأخص في صناعتي السينما والموسيقا)(١)

ويبدو أن الولايات المتحدة تعتمد في نشر نمطها الثقافي على تفوقها التقني وهيمنتها السياسية والعسكرية والاقتصادية ، معرضة مقومات الهوية الثقافية للمجتمعات الأخرى إلى خطر الذوبان، وهو ما يدعونا إلى الاعتقاد أن الثقافة الكونية المعولمة ليست إلا نتاجًا لثقافة مهيمنة هي ثقافة الغرب وتحديدًا الولايات المتحدة الأمريكية وليست نتاجًا لتفاعل الثقافات الأخرى وتضافرها وتناظرها .

(وتجدر الإشارة إلى أن عملية الأخذ والاقتباس من «الآخر» لا يمكن أن تفرز لنا كيانًا متطابقًا تمام التطابق مع هذا «الآخر». فعلى الرغم من هذا الاحتكاك الذي يحدث بين المجتمعات الأوربية، نجد أن طبيعة المجتمع البريطاني مثلاً تختلف عن الفرنسي، وكلاهما يختلفان عن الإيطالي، سواء في النظام السياسي أم الاقتصادي أم السلوك الاجتماعي أم في الفكر والثقافة. ويظهر هذا الاختلاف بوضوح أكبر عندما نقارن بين الولايات المتحدة واليابان، فرغم اعتناقهما للنظام الاقتصادي والسياسي نفسه ، ومع غلبة مظاهر المجتمع الصناعي الحديث في كل منهما، فإن شكل الحياة وقيم المجتمع في اليابان ليست متطابقة مع تلك السائدة في الولايات المتحدة(٢)

وجهات النظر تجاه التعامل مع العولمة الثقافية :

يرى البعض أنه لا يوجد دليل على أن العولمة بالضرورة تهدف إلى محو الهويات الثقافية المتعددة، ذلك لأن العولمة ليست بحاجة إلى فرض نظام ثقافي موحد على مستوى العالم، وأنه من المستحيل محو التعدد الثقافي في العالم مهما خطَّط المُخَطِّطون .(٣)

إن الاحتكاك بين الحضارات، والأخذ والعطاء، والتأثير والتأثر، لا يؤدي على الإطلاق إلى ذوبان هذه الحضارات في حضارة واحدة، حتى ولو على المدى البعيد. حيث إنه من الصعب إمكانية

(١) سالم بول : الولايات المتحدة والعولمة ، معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين، ((مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧م)) ٢٢٠م

(٢) حازم الببلاوي: نحن والغرب في عصر المواجهة ام التلاقي؟، ((دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م)) ص ٤٥-٤٦

(٣) انظر كمال الدين عبد الغني المرسي: العلمانية والعلومة والازهر، ((دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ب ت)) ص ١٠٩-١١٢

وجود ثقافة عالمية واحدة.

والذين يرفضون العولمة ويرون فيها خطراً على الأفراد وعلى الأمة، إنما ينظرون إلى أنها تمثل ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية على وجه التحديد، ولذلك أطلقوا عليها اسم «الأمركة». وقد رفضت أوربا هذه الأمركة، ولذلك نجدها تحصن نفسها بالاتحاد الأوربي حتى تتمكن من منافسة الولايات المتحدة، ومع ذلك، خشيت بعض دولها على ثقافتها وعلى لغتها من أن تطغى عليها هذه الثقافة الوافدة. وكان من هذه الدول، فرنسا واليونان اللتان هاجمتا الولايات المتحدة هجومًا عنيفًا في المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية الذي نظمته اليونسكو في المكسيك سنة ١٩٨٢م، حتى إن فرنسا امتنعت عن التوقيع على القسم الخاص بالسلع والمواد الثقافية من اتفاقية «الجات» . (١)

ومن الضروري عدم التقليل ولا التهوين من الخطورة التي يمكن أن تلحقها العولمة الثقافية بهويتنا بوجه خاص، وبالتنوع الثقافي بوجه عام، ولكن في الوقت نفسه ، ينبغي عدم الميل إلى المبالغة في ذلك. وحتى لا تصاب الأمة بالجمود، فنتخلف عن مواكبة التطور العلمي المتسارع من حولها، ويجب أن تتقبل الجديد النافع الذي لا يتعارض مع ثوابت الدين ، مع المحافظة على خصوصية الهوية الثقافية بعيدًا عن التعصب والانغلاق. وإذا كانت ثقافتنا نحن المسلمين تعاني اليوم من الثنائية والانشطار، ومن الاختراق الثقافي بفعل العولمة، فإن ما يجب أن نفعله هو الانطلاق من الداخل، أي من داخل ثقافتنا نفسها، ذلك لأن من المؤكد أنه لولا الضعف الداخلي لما استطاع الفعل الخارجي أن يمارس تأثيره بالصورة التي تجعل منه خطراً على الكيان والهوية.

ولا بد من الإشارة إلى أن العولمة الثقافية ليست دائمًا عدوانًا مقصودًا مخططًا له، يُوَجَّه إلينا لاستلابنا حضاريًّا وثقافيًّا. ويجب ألا نتعامل مع العولمة الثقافية من موقف التوجس والرفض والعدوانية دائمًا، لأننا بذلك نكون قد شجعنا التقوقع والتراجع إلى الذات دون أن نستفيد من التفاعل الحضاري الضروري لتطور الثقافات وتطور الحضارات. وكما في العالم الإسلامي على مر العصور مفكرون وعلماء اجتماعيون وسياسيون واقتصاديون لهم أثرهم في الفكر والحياة الإنسانية وهم خير أمة أخرجت للناس بفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا بد مع ذلك أن نعي ونعترف أن في أوربا وأمريكا علماء ومفكرين اجتماعيين وسياسيين واقتصاديين، لهم مكانتهم وأثرهم في الفكر الإنساني وفي تطوير العلم والمعرفة، ولهم نتاج جدير بأن نطّلع عليه ونستفيد منه إذا أردنا لأنفسنا ولأمتنا أن نسير في ركب التقدم وأن نشارك في موكب الحضارة والعلم.

---

(١) انظر ناصر الدين الاسد: : مرجع سابق، ص ١١٥

وليست الحياة في الغرب على النحو الذي تنقله لنا القنوات الأرضية والفضائية من مظاهر العُرْي الفاضح، والتهتّك، وإنما فيها أيضًا من العمل الجاد والسعي الدائب، بالقدر الذي أوصلهم إلى ما هم فيه الآن. (١)

ولذلك، يجب علينا أن نوجِد الآلية التي نختار بها ما لا يتعارض مع عقيدتنا وهويتنا، وأن نُكَوِّن الفكر الذي نستطيع به التعامل مع الفكر الآخر، الفكر الناقد الذي يستطيع أن يختار ما يناسبه ويطرح بعيدًا ما لا يناسبه.

المطلب الثاني: التحديات والإشكالات الناتجة عن العولمة الثقافية:

تطلع العولمة من خلال آلياتها الاقتصادية والاتصالية والمعلوماتية إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني . وقد أدى تطور وسائل الإعلام إلى زيادة التفاعل الثقافي على مستوى العالم ، غير أن المشكلة التي نبه لها العديد من العلماء والباحثين المسلمين وغيرهم تتمثل في أن التدفق الإعلامي للرسائل الثقافية يأتي من المراكز الرأسمالية في الشمال ويصب في دول الجنوب والتي يمثل العالم الإسلامي جزءًا منها مما يجعلها تتحول إلى مواقع لتلقي هذه الرسائل بكل ما فيها من تحيزات وقيم تتعارض مع منظومة القيم الإسلامية ، وتهديد الخصوصية الثقافية لهذه الدول . (٢)

ومما لا شك فيه أن ما أسفرت عنه العولمة من تحجيم للسياسات القومية في الأنشطة الاقتصادية كان له سلبياته على الحقوق الثقافية وضمان كفالتها وحمايتها ، مما أسهم في خلق الصراعات التي اتخذت طابعًا أثنيًّا أو دينيًّا أو لغويًّا خصوصًا دول العالم الإسلامي.

ولا شك أن الاختراق الثقافي الذي أصبح يمثل أحدث آليات الهيمنة المعاصرة لا يعد أمراً مستحدثًا

(١) انظر المرجع السابق: ص ١١٥-١٢٠

(١) انظر عواطف عبد الرحمن: الاعلام والعولمة الجديدة، ((العربي للنشر والتوزيعن القاهرة ط١ ٢٠٠٦م)) ١٢٧-١٢٨

في العالم الإسلامي بل تشير قراءة التأريخ إلى أن عملية الاختراق اختلفت أشكالها باختلاف المراحل التأريخية وطبقًا لحاجة المشروع الاستعماري .(١)

وتعتبر الأمة الإسلامية من أوائل الشعوب التي سقطت ومنذ وقت مبكر من التأريخ الحديث في دائرة استهلاك الثقافة التي تنتج في المراكز الأوربية وأمريكا وترتب على ذلك ظهور أنساق جديدة لثقافة المسلمين وكان ذلك على حساب اللغة والتراث الإسلامي .

ومما يجد ملاحظته أن كل مرحلة من مراحل السيطرة الغربية كانت أكثر خطورة وإحكامًا من سابقاتها وأن السيطرة الأمريكية عززت وجودها الثقافي من خلال الدعاية والإعلانات وغيرهما.

المطلب الثالث: آثار العولمة الثقافية في العالم الإسلامي :

لأن دول العالم النامي بما في ذلك الدول الإسلامية تنتمي إلى فئة الدول المتوسطة والصغيرة ، وهى الدول التي تتأثر تقليديًّا بتحولات البيئة الدولية ، فإن من المنطقي أن تشعر تلك الدول بآثار العولمة .وتسعى هذه الدراسة إلى الإسهام في طرح إجابات حول الأسئلة الجديدة المثارة في أجندة العالم الإسلامي حول العولمة الثقافية ، وآثارها في العالم الإسلامي، وما الاستراتيجيات المناسبة للتعامل معها؟

والحقيقة أنه لا توجد رؤية واحدة للعولمة الثقافية ، سواء على مستوى الأدبيات العالمية ، أو أدبيات الدول الإسلامية. وبصفة عامة ، هناك ثلاث رؤى للعولمة عبر وسائل الإعلام وغيرها، تتمثل أولاها فيما تطرحه المدرسة <الليبرالية الجديدة> من أفكار ، جوهرها هو الاعتقاد الصارم بأن العولمة الثقافية ظاهرة إيجابية ينبغي على جميع الناس التكامل معها واللحاق بها لأنها عملية حتمية.وتعتبر تركيا من أبرز المدافعين عن تلك الرؤية للعولمة من بين الدول الإسلامية. وفي هذا الإطار يأتي سعيها الحثيث للانضمام للاتحاد الأوربي وقبول شروطه الاقتصادية والسياسية والثقافية.

أما الرؤية الثانية فتتمثل في الرؤية النقدية للعولمة الثقافية والتي ينتمي إليها عدد من المدارس الفكرية والتيارات السياسية الشعبية غير المتجانسة ، والتي تستمد أصولها من فلسفات متباينة ، ولكنها تشترك في قاسم مشترك أعظم وهو انتقاد العولمة والتركيز على آثارها السلبية. كما تتسود هذه الرؤية لدى عدد من المفكرين الإسلاميين.

أما الرؤية الثالثة ، فهي الرؤية التفاعلية للعولمة الثقافية ، وهى تركز على أن العولمة أمر واقع

(١) انظر المرجع السابق: ص ١٣١

ينبغي التعامل معه وليس قبوله بكافة عناصره ، ويقصد بالتعامل في هذا السياق ، الدخول في حوار حقيقي مع قوى العولمة الثقافية عبر وسائل الإعلام وغيرها بهدف الإقلال من الخسائر وتعظيم المكاسب .

وهكذا فإنه لا توجد رؤية واحدة تسود دول الجنوب _ في اصطلاح الإعلام الدولي _ ولا الدول الإسلامية للعولمة الثقافية ، بل إن هذا التباين يمتد ليشمل مختلف الجماعات الثقافية ومؤسسات المجتمعين المدني وغير المدني.ويعكس ذلك اختلافاً في ملامح التطور السياسي والاقتصادي للدول الإسلامية ودرجات ارتباطها بالقوى الرأسمالية العالمية والمشروعات الداخلية والإقليمية للنخبة السياسية الحاكمة ، ومدى شعور تلك النخب والجماعات بالآثار المتباينة للعولمة.

إن للعولمة الثقافية العديد من الآثار والتداعيات تبرز من خلال العديد من القنوات التلفازية والمحطات الإذاعية والصحف الدولية ، أهمها:

أولاً- انعكاسات العولمة على أصل العقيدة : (١)

لعل من أخطر ما تحمله العولمة الثقافية هو تهديدها لأصل العقيدة الإسلامية، وذلك لأنها تشتمل على الدعوة إلى وحدة الأديان، وهي دعوة تنقض عقيدة الإسلام من أساسها وتهدمها من أصلها، لأن دين الإسلام قائم على حقيقة أنه الرسالة الخاتمة من الله تعالى للبشرية الناسخة لكل الأديان السابقة التي نزلت من السماء، ثم أصابها التحريف والتغيير. والعولمة تحمل في طياتها اعتبار الأديان كلها سواء، وإن الحق في هذه الدائرة نسبي بحسب اعتقاد كل أمة. ولا يصح في العولمة الفكرية والثقافية اعتبار دين الإسلام هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ولهذا تشجع العولمة ما يسمى بـ:(حوار الأديان) لا على أساس دعوة الأديان الأخرى إلى الإسلام بل على أساس إزالة التمييز بين الإسلام وغيره بالحوار.

. وتتجلي خطورة هذه الدعوة في كونها تنفض عقد الإسلام من أصله. يوضح ذلك أن الله تعالى

(١) انظر سليمان نجم خلف: العولمة والهوية الثقافية تصور نظري لدراسة نموذج الخليج والجزيرة العربية((المجلة العربية ، جامعة الكويت ، ١٩٩٨م العدد (٦١) (ص ٤٢)

قال: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)(١)

ثانيًا– انعكاسات العولمة على المفاهيم الأساس في العقيدة : .(٢)

كما أن العولمة تسعى لإعادة تشكيل المفاهيم الأساس عن الكون والإنسان والحياة عند المسلمين، والاستعاضة عنها بالمفاهيم التي يروج لها الغرب ثقافيًّا وفكريًّا.

فالكون –في نظر العولمة الثقافية والفكرية– لم يخلق تسخيراً للإنسان، ليكون ميدان امتحان للناس ولابتلائهم أيهم أحسن عملاً؛ والإنسان لم يخلق لهدف عبادة الله تعالى، والحياة ليست إلا صراعًا ابتدأ منذ خلق الإنسان بين الحق الذي يمثله الرسل والأنبياء وأتباعهم الذين يدعون إلى سبيل الله تعالى بالوحي، وبين الباطل الذي يدعو إليه الشيطان ..قال تعالى: (واجلب عليهم بخيلك ورجلك)(٣)

وقال: (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك).(٤)

هذه المفاهيم الأساسية للعقيدة الإسلامية، ليست في نظر العولمة الفكرية والثقافية سوى خرافة.

كما أن الموقف من أمم الأرض – في نظر العولمة الفكرية والثقافية– ليس على أساس المفهوم القرآني القائم على التقسيم العقائدي إلى:

«المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم»(٥)

وأنه تجب موالاة المسلم لأخيه المسلم ونصرته، وأن يكونوا أمة واحدة تجمعهم العقيدة ولا تفرقهم أية وشيجة أخرى.

وإلى كفار تجري عليهم الأحكام الشرعية بحسب علاقتهم بالمسلمين.

هذه المفاهيم القرآنية الإسلامية الأساس كلها تنقضها العولمة الفكرية والثقافية من أصلها، وتهدمها من أساسها –فالكون– في نظر العولمة ما هو إلا ميدان تنافس على المصالح الدنيوية، والإنسان حيوان دائب البحث عن ملذاته وشهواته ومنافعه، وليست الحياة سوى فرصة قصيرة لا ينبغي أن تضيع في غير اللذة والشهرة والجنس والمال والثروة والجمال، وليس وراءها شيء آخر، وما هي إلا سباق بين الناس في هذا الميدان لا ينقصه سوى تعظيم هذه اللعبة لئلا تفسد عليهم جميعًا،

---

(١) سورة آل عمران ، الاية: ٨٥

(٢) انظر باسم علي خريسان: العولمة والتحدي الثقافي، ((دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠١م)) ص٢٨

(٣) سورة الاسراء ، الاية: ٦٤

(٤) سورة الحشر ، الاية: ٦

(٥) اخرجه احمد وابو داوود

ولا يصح التفريق بين الناس على أساس عقائدهم فهم أمة واحدة في الإنسانية تجري عليهم أحكام واحدة لا يجوز بحال أن تتفاوت هذه الأحكام بسبب الدين أو العقيدة.وأن الحساب والآخرة والجنة والنار خرافه لا أساس لها من الصحة.

إن خطورة العولمة الفكرية والثقافية تكمن في أنها تعمل على إعادة تشكيل المفاهيم الأساس التي تشكل أصول عقيدة المسلم. بل تنقضها وتستعيض عنها بمفاهيم غريبة كافرة ملحدة لا تؤمن بوجوب عبادة الله واتباع الوحي والاستعداد للآخرة والإيمان بالجنة والنار.

ثالثًا – انعكاسات العولمة على الأخلاق :

كما أن العولمة تهدد النظام الأخلاقي الإسلامي، فمن خلال العولمة يروج للشذوذ الجنسي عبر وسائل الإعلام المقروءة والمرئية العامة والمتخصصة ، ويحاول الغرب استصدار قوانين لحماية الشذوذ الجنسي في العالم، ومن أحدث محاولات العولمة محاولة فرض مصطلح جديد يطلق عليه GENDER بدل لفظ (SEX) التي تنصرف إلى الذكر والأنثى فقط، وذلك عند الحديث عن حقوق الإنسان أو محاولة التمييز ضد الإنسان أو تجريم أفعال ترتكب ضد الإنسان.

– إن العولمة الثقافية تنصرف عمومًا إلى تحطيم القيم والهويات التقليدية للثقافات الوطنية ، والترويج للقيم الفردية الاستهلاكية الأمريكية والمفاهيم الاجتماعية الغربية بصفة عامة ، واعتبار تلك القيم والمفاهيم هي وحدها المقبولة كأساس للتعاون الدولي في ظل العولمة.

ورغم أن الآثار الكلية للعولمة على العالم الإسلامي تبدو سلبية ، إلا أن تحديد الأثر النهائي يتوقف ، ليس فقط على إرادة القوى الدافعة للعولمة ، وإنما أيضًا على مدى قدرة الدول الإسلامية على التعامل مع تلك الآثار ، ومدى قدرتها على صياغة مشروع وطني جماعي يتعامل مع العولمة ، ولكنه لا يندمج فيها. ويمكن الإشارة إلى الاستراتيجيات المطروحة أمام العالم الإسلامي للتعامل مع العولمة ، وهي تتراوح بين الانعزال والاعتماد الجماعي على الذات ، والتفاعل الإيجابي الرشيد ، ثم الاندماج الكلي مع العولمة الثقافية .ويجب في كل الأحوال أن تكون هذه الاستراتيجيات ممكنة في ضوء القيود الراهنة ، ويمكن تصور وجود مستويات للتعامل ، من خلال المستوى الأول حول ما

ينبغي عمله داخل كل دولة ، ويدور المستوى الثاني حول العمل المشترك بين الدول الإسلامية ، بينما يتعلق المستوى الثالث بالعلاقات بين الدول الإسلامية وباقي دول الجنوب.أما المستوى الرابع فإنه يتعلق بالعلاقات بين الدول الإسلامية والقوى الدافعة للعولمة الثقافية .

المطلب الرابع: كيفية مواجهة العولمة الثقافية عبر الإعلام من منظور الدعوة الإسلامية:

السؤال الذي يطرح ؛ ماذا تصنع الأمة الإسلامية حيال العولمة الثقافية، عبر الفضاء المفتوح ووسائل الاتصال التي تخطت الحواجز الجغرافية والتعليمية والتي تصاحب العولمة الاقتصادية والتجارية والسياسية،وتقوم في الوقت ذاته على أصول ثقافية مختلفة،بل ومتعارضة في كثير من الأحيان،مع أصول الثقافة الإسلامية وأصول الشريعة الإسلامية وأصول العلوم الإسلامية عمومًا؟.

ووفقًا لذلك فهنالك موقفين مختلفين من قبل العالم الإسلامي تجاه تقبل العولمة الثقافية:(١)

الموقف الأول:

ينبني على أن العولمة شر خطير من خلال وسائل الاتصال المختلفة ويداهم الأمة الإسلامية، ويهدد وحدتها وكيانها واستمرارها، فعلينا أن نغلق دونها الأبواب،ونحصن مجتمعاتنا بالدعوة إلى الرجوع إلى أصول هذه الأمة الثقافية،ومنها بصفة خاصة الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح،والعمل على إبعاد الشباب،عن التعرض لوسائل العولمة الثقافية الغازية،من صحف وتلفاز ومحطات فضائية،بل وحتى سفر إلى البلاد الغربية ، أو الدراسة في جامعاتها.

(١) انظر محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية،((دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ط١ ١٩٩٩م)) ص٢٠

أما الموقف الثاني :

فيرى أن نهضة المسلمين لا تتحقق إلا إذا تحققت نهضة الغرب،وأن الثقافة تراث بشري ، ليس خاصًا بقوم دون قوم،أو منطقة دون أخرى،أو جهة دون جهة ،فعلينا أن نفتح الأبواب للثقافات الوافدة ،من أجل أن يلحق المسلمون بالركب العالمي.

إن القلق سيظل يساور علماء الأمة الإسلامية ومفكريها ،إزاء الموقف الصحيح من عولمة الثقافة،إذا استمر الحال على ما هو عليه في الدول الإسلامية،التي تعتبر –بمجموعها– أقل مما تمثله الأمة الإسلامية،وذلك لوجود أعداد كبيرة من المسلمين خارج نطاق هذه الدول.و يمكن تلخيص الحال القائمة في الدول الإسلامية فيما يخص الجانب الخاص بالثقافة في التالي(١):

١– غياب التصور الكامل لأصول الثقافة الإسلامية ومفرداتها ،والاختلاف حول بعضها.

٢– عدم توظيف جميع مفردات هذه الثقافة في مجالات الإعلام والتعليم والتربية والتثقيف العام.

٣– غياب كثير من مفردات هذه الثقافة عن المجالات الحيوية في الأمة كمجال التجارة والاقتصاد والإدارة والسياسة.

٤– عدم وجود أجهزة ثقافية وإعلامية كافية ومؤهلة،تقدم البديل المنافس للثقافات الأخرى التي تتعارض مع الثقافة الإسلامية.

٥– تضارب الأجهزة الثقافية والإعلامية في الدول الإسلامية،وتقديم الثقافة الإسلامية بصورة مشوهة في أغلب الأحيان.

(١) انظر المرجع السابق ، الصفحة نفسها

هذه هي خصائص الوضع الراهن لمؤسسات الإعلام و الثقافة الإسلامية وأجهزتهما في البلاد الإسلامية.و إذا ما أردنا مواجهة عولمة الثقافات الأخرى مع ثقافاتنا في بلداننا،لا بد للدول الإسلامية من معالجة هذا الوضع،وإيجاد وضع بديل قوي ، يتلافى النقائص الموجودة ،ويهيئ الدول الإسلامية ليس فقط لمواجهة العولمة الوافدة، بل لإحداث عالمية إسلامية معاصرة لثقافتنا،كما أحدثها المسلمون في القرون الإسلامية الأولى بالحجة والمنطق،فوصلوا إلى مختلف مناطق العالم ، حيث تمتلك الأمة الإسلامية ثقافة قوية تؤهلها للمشاركة في عولمة الثقافة إذا ما هيَّأت حكومات هذه الدول الاستعدادات الإعلامية العلمية والفنية والبشرية لإحداث العولمة المطلوبة.والتي تكفل انتقال الأمة الإسلامية من حال المتلقي فقط للعولمة الوافدة أو الغازية إلى حال المرسل المشارك في عولمة الثقافة،بهدف المنافسة والتغلب على الثقافات الأخرى، إيمانًا من الأمة بأن ثقافتها هي ثقافة الإسلام، وأن دينها هو خاتم الأديان،الذي ارتضاه الله تعالى للبشر، تصديقًا لقوله عز من قائل: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا) (١)

إن عالمية الثقافة الإسلامية في عصر العولمة الجديد،لا يدخل في دائرة المباح أو المستحب فحسب،بل يدخل في دائرة الواجب الشرعي، انطلاقًا من عالمية الإسلام، يقول الله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) (٢) وقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)(٣)

والحق أنه لا خيار لا من الناحية الشرعية ولا من الناحية الواقعية، إلا أن نخطط لعولمة ثقافتنا، ولكن هذه العولمة تتطلب إصلاح الوضع على مستوى الداخل، لتكون الدول الإسلامية، ومن ثمَّ الأمة الإسلامية مؤهلة لمخاطبة الخارج. فعلى المستوى الداخلي لا بد من الاهتمام بتحقيق التالي:

(١) سورة المائدة، الاية: ٣.
(٢) سورة يوسف ، الاية ١٠٨
(٣) سورة آل عمران، الاية ١١٠

١- صياغة دقيقة لأطر الإعلام والثقافة الإسلامية العامة ووسائلهما ، بالرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة المطهرة، والسيرة العطرة للرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والأئمة الذين يمثلون الثقافة الإسلامية خير تمثيل،وتحقيق اتفاق إسلامي عليها.

٢- إعادة بناء الهياكل التنظيمية والإدارية في الدول الإسلامية وفقًا لهذه الأطر الإعلامية الثقافية ،لتكون ثقافة هذه الهياكل ثقافة إسلامية.

٣- إعادة بناء الخطط الإعلامية ومعها مناهج التربية والتعليم في الروضات والمدارس والمعاهد والجامعات،وغيرها من مؤسسات التعليم وفقًا لهذه الأطر الثقافية،لتكون هذه المؤسسات مؤهلة لممارسة الثقافة الإسلامية على أرضها،وقادرة على المشاركة في عولمة هذه الثقافة في خارجها.

٤- إعادة بناء السياسات الإعلامية،على جميع الأصعدة والوسائل،لتمثل الثقافة الإسلامية أصدق تمثيل، ولتكون قادرة على خدمة هذه الثقافة وعولمتها.

٥- إعادة بناء الهياكل السياسية والإدارية والاقتصادية والتجارية في الدول الإسلامية،وفقًا للثقافة الإسلامية،وإزالة جميع المتناقض معها،أو الدخيل عليها في هذه الهياكل.

٦- خلق قواعد متينة للبحوث العلمية والمعلومات ،والمشاركة الفاعلة في تطوير التقنية، إلى المستوى الذي يجعل الأمة الإسلامية مشاركًا حقيقيًّا في هذه المجالات،بدلاً من أن تؤديس دور المتلقي فحسب.

٧- إحداث مستجدات الإعلام الإسلامي المتطور خدمة للثقافة الإسلامية.

التوصيات :

لقد اتضح من سياق النقاط التي عرضتها هذه الورقة، أن الثقافة الإسلامية –في عصر العولمة الجديد– أمام تحديين كبيرين:

الأول: هو التحدي المتمثل في الحفاظ على الهوية في الشكل والمضمون، والتصدي لكل ما هو خطر عليها.

والثاني: هو الاستعداد لعولمة الثقافة الإسلامية في عصر لا يعترف بالضعف، ولا يحترم الثقافات التي يتخلى عنها أهلها. فكيف نحافظ على هويتنا الثقافية؟ وكيف نحميها، وكيف نعولمها؟

ينبغي على أصحاب الهمم في الأمة الإسلامية أن يدركوا أن الحفاظ على الهوية وحمايتها، لا يتأتى عبر منع الأقمار الصناعية، وأطباق الاستقبال للمحطات الفضائية، التي تبث برامجها من مختلف دول العالم، ولا يتأتى عبر منع الصحف المعارضة والمجلات والمطبوعات المناهضة لثقافتنا، كما لا يتأتى ذلك عبر حظر أجهزة الاتصال المتقدمة، ورفض خدمة الإنترنت. إن كل ذلك أصبح اليوم عبثًا لا طائل من ورائه.

إن إستراتيجية الحفاظ على الثقافة الإسلامية، لا يتأتى إلا عبر إستراتيجية لعولمة هذه الثقافة. وهذا يتطلب نشر الثقافة الإسلامية من خلال التخطيط ورسم سياسات الدول الثقافية والتعليمية والتربوية ووضعها موضع التنفيذ .

هذا بجانب توظيف الإمكانيات العلمية والتقنية الحديثة في مجال المعلومات والاتصالات،لخدمة الثقافة والوحدة الإسلامية كمقدمة أساس وضرورية، وذلك لتهيئة الثقافة الإسلامية،لخوض معركة العولمة،باقتدار وأصالة، واستيعاب للمتغيرات الجديدة،التي تحدث في العالم.وهي متغيرات لا يمكن للثقافة الإسلامية أن تكون بمعزل عنها.

ويحسن أن نشير في نهاية هذه الورقة، إلى أن آفاق المستقبل ستكون ضيقة جدًا أمام الثقافة الإسلامية،لو أغفل المسلمون العوامل التي توحد خطهم وترفع شأنهم ، وأهم هذه العوامل:

١– الحفاظ على ثوابت الثقافة الإسلامية وثوابت الشريعة والفقه وسائر العلوم الإسلامية.

٢– اعتماد خاصية المرونة في التعامل مع ثقافة العصر دون إفراط ولا تفريط .

٣–اعتماد الاجتهاد الجماعي القائم على الفقه المقاصدي والمصلحة الشرعية للتعامل مع ثقافة العصر.

٤–ضرورة التفاعل الحضاري والتعامل الثقافي والانتقائي بحذر حفاظًا على عقيدة الأمة وهويتها

وأخلاقها وأصالتها من عبث العولمة الفكرية والثقافية ... ولا يتم ذلك إلا بإحياء مشروع نهضوي ثقافي شامل يعيد للأمة ثقتها بثقافتها واعتزازها بتأريخها وفخرها بهويتها، على أساس الالتفاف حول الإسلام النقي الخالص من شوائب الموروث المتخلف، بفهم صحيح يضع الثوابت والمتغيرات في مواضعها الصحيحة ويوجه الاجتهاد الشرعي العصري توجيها سليمًا جامعًا بين الأصالة والأسس السلفية .

٥- الاستفادة من المعاصرة النافعة وسطًا بين الغلو والإجحاف وذلك أن الموقف الرافض العاجز عن التعامل مع حقبة العولمة، يحمل من المخاطر على الأمة المسلمة وطمس هويتها وتوهين قيمها وعزلها عن الواقع العالمي الشيء الكثير.

٦- العمل لامتلاك الوسائل القادرة على حماية الأمة، والإفادة من وسائل العولمة وأطروحاتها لتقديم البديل الإسلامي على المستوى العالمي.

٧- كما لا بد من تفعيل كل جهود الوحدة التي تقرب الأمة - حكومات وشعوبًا - بعضها ببعض، وتقرب الحكام من الشعوب والشعوب من الحكام، وتصلح بين السياسة والثقافة والحكام والعلماء وتجمع بين الكتاب والميزان لتعود هذه الأمة إلى مجدها من جديد حيث تتمكن من حشد قواها التي تمكنها من استئناف دورها.